الله والوطن .

الجامعة العثمانية

الاتحاد والارتقاء

مجلة سياسية ادبية علمية تهذيبية

« يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا »
« عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة »
« جان جاك روسو »

« ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط »
« فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة »
« جول سيمون »

الاسكندرية في ١ مايو (ايار) سنة ١٨٩٩ — الموافق ٢١ ذي الحجة سنة ١٣١٦

باب المقالات

حاجتنا السياسية الكبرى

دواء الشرق

رأي شرقي كبير

اذا قلنا الشرق فالقراء يعلمون اي ارض عزيزة نعني واي بلاد طيبة نريد . فليس ثمت ما يدعو الى التصريح بدلاً من التلميح لان غرضنا نقل الآراء الصحيحة والافكار السليمة الى الرؤوس المفتكرة العاملة التي تكفيها الاشارة اما الاعضاء فحسبها في هذا الباب ان الرؤوس تعمل لها وتشتغل لمنفعتها

وقد آن الآن ان نجمل ما فصلناه في الاجزاء السابقة بشأن هذا الشرق العزيز لنصل الى الغرض الاكبر الذي كنا نحوم حوله وابقينا الكلام عليه الى ما بعد الفراغ من المقدمات اللازمة له

قلنا في الجزء الاول في بدء الكلام على الشرق ان به داءين الاول داخليٌّ وهو جهل ابنائه والثاني خارجي وهو مطامع الدول القوية فيه . وان دواء الداء الاول قتل الجهل بالعلم الصحيح والتربية الصحيحة ودواء الداء الثاني مزج عناصره جد المزج وتربيتها تربية واحدة ومعاملتها معاملة واحدة

ثم انتقلنا في الجزء الثاني فأرينا ان تعصب اوروبا على شرقنا ليس تعصباً دينياً كما يقول بعضهم ولكن تعصباً سياسياً ناشئاً عن رغبة القوي في الاستبداد بالضعيف واعظم دليل على ذلك ان المانيا المسيحية قد صافحت في مأدبة دمشق الشام «الجامعة الاسلامية» يداً بيد . فاذا منعنا اسباب هذا التعصب السياسي باتباعنا السياسة الداخلية الصحيحة واستنادنا الى صديقة عظيمة كالمانيا القوية وجيش باسل كالجيش العثماني الغضنفر لم يعد للخصوم حجة في المداخلة في شؤوننا والتعصب علينا وقذفنا بذلك المهابة في نفوسهم لان الحق كله يكون حينئذٍ معنا محارباً في صفوفنا

ثم وصلنا في الجزء الثالث الى افضل الشجرتين الواجب غرسها اولاً في الشرق بعد تمسكه بعرى السياسة الداخلية الصحيحة وقتله الجهل ورده الاطماع هل هي شجرة الاخاء ام شجرة الحرية فاقمنا الدليل على وجوب تقديم الاولى على الثانية لاننا الآن احوج الى الجمع منا الى التفريق كما قدَّمنا

هذا ما قلناه الى الآن . ولكن هل قلنا كل ما يجب ان يقال ؟ اما شعر القراء المخلصون ان هنالك فراغاً كبيراً يجب سده وكلمة قوية يجب التصريح بها ؟ كيف تجمع الكلمة بلا جامع ؟ انى تغسل القلوب بلا غاسل ؟ كيف يقتل الجهل ويرد الطمع ويغرس الاخاء بلا قاتل ورادٍ وغارس ؟ قلنا المدرس والامهات

والجرائد ولكن أليس فوق هذه الوسائل سلطة عالية لها حق التصرف في شؤونها رفعاً وخفضاً واصلاحاً وافساداً . افليس صلاح هذه الوسائل او فسادها متوقفاً على صلاح هذه السلطة او فسادها . وما هي هذه السلطة ؟

اذا كان في الشرقيين من يحترم السلطة احتراماً حقيقياً مبنياً على معرفة الواجب المقدس فاننا في مقدمة هؤلاء المحترمين . نحترم السلطة لا لانها اعطيت من فوق بل لانها من ضرورات الاجتماع وحاجاته واحترامها قاعدة من القواعد الفلسفية والسياسية . الا اننا نفرق بين السلطة وبين المتسلط . اننا نضع سداً قوياً بين المبدإ والشخص فالمبدأ نحترمه ونخفض الرأس امامه لانه ازلي ابدي واذا شئت فقل سماوي اما الشخص فهو قبضة من التراب يوكل اليها ادارة ذلك المبدإ العظيم . فاذا حدثت اساءة فانما يحدثها ذلك التراب وهو المسئول عنها لانه مصدرها اما المبدأ فيبقى صحيحاً سليماً نزيهاً عن كل ما يرمى به ويعزى اليه .

فالسلطة التي اشرنا اليها آنفا هي القوة التي يدير بها الحاكم المحكوم . هذا هو المبدأ . والحاكم هذا هو الشخص . فاذا قلنا هنا في هذين الرفيقين فانما نقول في الثاني دون الاول لاننا كما قدمنا ممن يحترمون الاول احتراماً لا نبالغ فيه اذا قلنا انه يكاد يكون دينياً .

والذي نريد قوله في احد هذين الرفيقين ان صلاح حال الحاكم هو الفراغ الكبير الواجب سده في هيئتنا الشرقية . ولا يجهل احدان صلاح حال كل امة يكون باحد وجهين . فاما اصلاح يبدأ من تحت اي ان الامة تأخذه عنوة واقتداراً واما اصلاح تعطاه من فوق اي ان يمد الحاكم الى المحكوم يداً بيضاء فيها غصن او اغصان من شجرة الاصلاح الذكية . ويستحيل على الشرق ان ينال السعادة على الوجه الاول لاسباب كثيرة يضيق دونها هذا المقام بقي اذاً الوجه الثاني وهو ان يعطى السعادة عفواً من غير ان ينقل اليها قدماً وهذا يتم بحسن اختيار حكامه

ولقد كان الحكيم افلاطون يقول في حياته « وددت لو يكون الحكام فلاسفة او يكون الفلاسفة حكاماً » اما الشرقيون في هذا الزمان فلا يطلبون ان يكون حكامهم فلاسفة يحسنوا ادارتهم كما يحسنها الفيلسوف الكامل الذي يحكم طبقاً للعدل والشرائع الطبيعية والالهية لا طبقاً للاهواء الخصوصية وانما كل ما يطلبونه ان لا يوضع مبدأ السلطة المقدسة في ايد ضعيفة لا تعرف ادارته . ان لا تلقى الجواهر في المزابل . ان لا تمزج الفضائل بالرذائل . وبعبارة واحدة ان لا يسمى حاكماً في الشرق الا من كان كفوءا لهذه الوظيفة السامية التي تتوقف عليها سعادة الانسانية

فحسن اختيار الحكام في الشرق هذه هي حاجة الشرق الكبرى

اجل لا تعوزنا القوانين « الآن » فلدينا منها القدر الكافي . لا نحتاج « الان » لاطلاق حرية الجرائد لاننا رأينا نتيجة هذا الاطلاق في بلاد شرقية لا تبعد كثيراً عنا . . . . . لا نحتاج الى حرية فان الحرية مفرقة والتفريق الان يقتل الشرق بدلاً من ان يشفيه . لا تحتاج هيئتنا الشرقية الى امر جديد ولا يعوزها شيء جديد الا امرا واحدا وشيئا واحدا وهو : « حسن اختيار الحكام » هذا هو اهم الاصلاحات السياسية الواجب ادخالها الى الهيئة الشرقية

وقد جرى في الشهر الماضي بين الدولة العلية وسربيا امر قال فيه وكيل سربيا في الاستانة كلاماً يقرب من هذا الكلام . فانه قدم تذكرة رسمية الى الحكومة يقول فيها ان سربيا لا تطلب ان تسن الدولة العثمانية قوانين جديدة لمكدونيا لان القوانين الموجودة كافية وافية ولكنها تطلب ان يعين لهذه القوانين رجال اكفاء يسهرون على تنفيذها بالعدل والاستقامة . وهذا القول وان كان قد جرى على لسان خصم ذي غرض صحيح من اوله الى آخره ويصح اطلاقه على جميع البلاد الشرقية

ولا نرى لبيان ما يرجى من تأثير الحاكم على المحكوم خيرا من كلام هو السحر الحلال قاله منذ سنوات خلت حضرة الحكيم الكامل والاستاذ الفاضل الشيخ محمد عبده وبعث به الينا اليوم احد اخوانه الافاضل بعد اطلاعه على مقالة « الاخاء والحرية » التي صدرنا بها الجزء السابق لننشره تتمة لها لما بينهما من المناسبة . فالجامعة تفتخر الان بان تزف للشرقيين هذه الحكمة الشرقية الصادرة عن نفس شرقية كبيرة وتشكر الباعث بها اليها شكرا جزيلا . وهذا نصها

« انما ينهض بالشرق مستبد عادل » . مستبد يكره المتناكرين على التعارف ويلجىء الاهل الى التراحم ويقهر الجيران على التناصف يحمل الناس على رأيه في منافعهم بالرهبة ان لم يحملوا انفسهم على ما فيه سعادتهم

بالرغبة · عادل لا يخطو خطوة الا ونظرته الاولى الى شعبه الذي يحكمه فان عرض حظٌ لنفسه فليقع دائمًا تحت النظرة الثانية · فهولهم اكثر مما هو لنفسه ·

« يكفي لابلاغهم غاية لا يسقطون بعدها خمس عشرة سنة وهي سن مولود يبلغ الحلم يولد فيها الفكر الصالح و ينمو تحت رعاية الوليّ الصالح و يشتد حتى يصرع من يصارعه · خمس عشرة سنة يثني فيها اعناق الكبار الى ما هو خير لهم ولأعقابهم و يعالج ما اعتلَّ من طباعهم بانجع انواع العلاج ومنها البتر والكيُّ اذا اقتضت الحال و ينشيء فيها نفوس الصغار على ما وجه العزيمة نحوه ويسدّد نياتهم بالتثقيف · يتعهدها كما يتعهد الغارس شجره بضم اعواد مستقيمة الى سوقها لتنمو على الاستقامة · خمس عشرة سنة تحشد له جمهوراً عظيماً من اعوان الاصلاح من صالحين كانوا ينتظرونه وناشئين شبوا وهم ينظرونه وآخرين رهبوه فاتبعوه وغيرهم رغبوا في فضله فجاروه

« حتى اذا عرفت الافكار مجاريها بالتعريف · وانصرفت الى ما أُعدَّت له بالتصريف · وصحَّ الشعور بالتعليل · واستقامت الاهواء بالتعديل · اباح لهم من غذاء الحرية ما يستطيع ضعيف السن قضمه · والناقه من المرض هضمه · واول ما يكون ذلك بتشكيل المجالس البلدّية ثم بعد سنين تأتي مجالس الادارة لا على ان تكون آلات تدار بل على ان تكون مصادر للآراء والافكار · ثم تتبعها بعد ذلك المجالس النيابية · نعم قد لا يتيسر لرجل واحد ان يشهد هذا الامر من بدايته الى نهايته ولكن الخطوة الاولى هي التي لها ما بعدها و يكفي لمدّها خمس عشرة سنة وما هي بكثير في تربية أمة فضلاً عن أمَّة ·

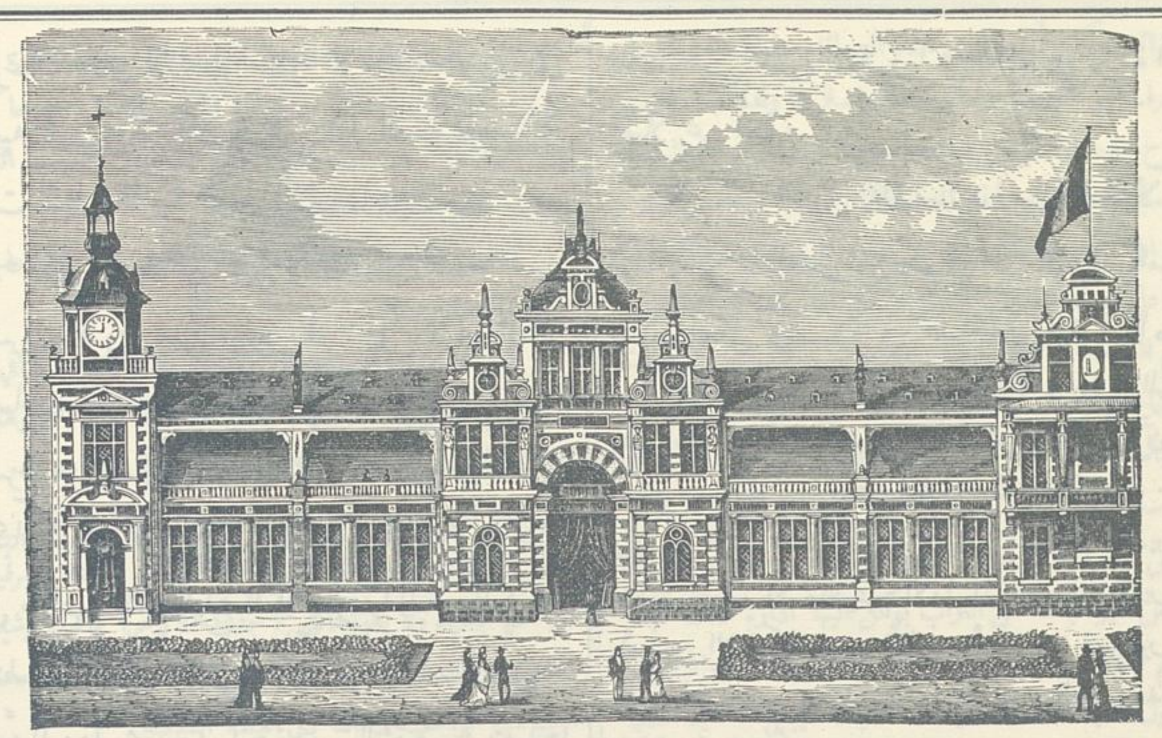
« هل يعدم الشرق كله مستبداً من اهله عادلاً في قومه يتمكن به العدل ان يصنع في خمس عشرة سنة ما لا يصنع العقل وحـده في خمسة عشر قرنـاً » اه

فالذي يقرأ هذه السطور الملتهبة بلاغة وغيرة على الشرق وعلى ابنائه يرى ولا شك ان الشرق شديد الحاجة الآن الى حكام كهذا الحاكم « المستبد العادل » الذي مرَّ وصفه · بل يرى ان الشرق لا خلاص له الا بهؤلاء الحكام « الذين لا يخطون خطوة الا ونظرتهم الاولى الى شعبهم » « الذين يتعهدون الامة كما يتعهد الغارس شجره » « فيصنعون بالعدل في خمس عشرة سنة ما لا يصنع العقل وحده في خمسة عشر قرناً »

فالاصلاح كل الاصلاح والفلاح كل الفلاح ان تبحث الدولة العلية بين ابنائها عن امثال هؤلاء الحكام او من كان اقرب الناس اخلاقاً اليهم فتأخذهم حيث وجدتهم وتضعهم في ولاياتها ومتصرفياتها وقائمقامياتها ومديرياتها واصغر قراها ومزارعها ليربوا الامـة تربية سياسية صحيحـة ويضمدوا جراحها و يمسحوا دموعها ويفتحوا ابواب الرزق في وجهها وان تنبذ نبذ النواة كل حاكم من حكامها يريد أن يكون على جسم الرعية التي اقيم لخدمتها علقاً يمتص دمها وذئباً ينهش لحمها وعدوا شرا من العدو الخارجي لانه يعدو عليها وهو منها

الاصلاح كل الاصلاح ان تنشط الفضائل السياسية وذلك بجعل الاستقامة وصحة المبادىء والمقدرة الشخصية والفضل والمعرفة سبلا الى المناصب العمومية لا حائلا في كثير من الاحيان دونها · هذا هو الاصلاح السياسي الواجب ادخاله الان الى الشرق · وهو اصلاح بسيط في حد ذاته ولكنه بالنظر الى نتائجه اكثر نفعاً واشد تأثيرا من جميع الاصلاحات الاخرى · لذلك قلنا انه اهم حاجاتنا السياسية

وسنسوق الكلام بالتفصيل بعد هذا الاجمال والله المستعان



قصر الفنون والصنائع في فيينا

التأثر المشترك

لحضرة العالم الفاضل والمؤرخ المحقق جرجي افندي يني

لقد انضى العلماء ركاب البحث الى كثير من الامور فتبينوا حقائقها وميزوا صحيحها من فاسدها الا ان مجال البحث لا برح فسيحاً وفي زوايا الحوادث والوقائع خبايا كثير من الاسرار الطبيعية التي سيكشفها لهم الجد والعلم الصحيح

فمن ذلك ما نسميه التأثر المشترك نريد بهِ ان يشعر الواحد بشيء مما يشعر بهِ الآخر ولو كانا بعيدين عن بعضهما. وقد تعددت لهذا العهد روايات الناس بما يثبت الاشتراك ولكن لم يتصل بنا حكم الذين لا يثبتون الامور الا بعد التجربة والامتحان ونحن نروي الآن نتفاً من الاخبار التي نقلها الكتاب وللالباء ان يحكموا فيها بما شاءت خواطرهم

فمن ذلك ما روي عن امرأة ارثور سفرن احد مشاهير المصورين انها استفاقت ذات يوم في باكرة النهار فاحست كأنها ضربت على فمها ضربة شديدة ادمت شفتها السفلى فمدّت يدها واخذت منديلها ووضعته على فمها لئلا يتلوث فراشها من الدم ولكنها لم تجد لذلك الدم اثرًا ولا للجرح حقيقة فظنت انها رأت ذلك في حلم. ولما نهضت من فراشها عاد زوجها من سفرة وقد شرمت شفته السفلى بضربة اليمة اصابته في الساعة ذاتها التي اصيبت بها امرأته بالحس المذكور

وروي عن ولسون رئيس مدرسة كلفتون العالية وهو احد اعلام علماء الرياضيات انهُ لما كان يطلب العلم في مدرسة كامبردج وهو في ريعان الصبا وتمام العافية اصابهُ ذات ليلةٍ انحراف فجائي فهلع خوفاً من الموت واذ اراد ان ينفي هذا الظن القائل تشاغل بالمطالعة فلم يملك قياد نفسهِ بل قام البلبال في خاطره وقعد فمال عن المطالعة وذهب لزيارة غير واحدٍ من اصحابهِ فما اجداه ذلك نفعاً ولا ارعوى عن قلقهِ بمسامرة الصديق ومؤانستهِ بل ظلّ تائهاً في بيداء الوهم يحسب المنون اقرب اليه من حبل الوريد حتى قضى الثلاث ساعات في ظنونهِ واذا بها قد انجلت وانقشعت كأنها الغيم وقد بعثرته الرياح فنام مرتاحاً ونهض في الصباح سليماً معافى كأن لم يكن بالامس يحسب انهُ على جرف الهاوية وكان لهُ اخٌ توأم فعلم بعد حين بموته في الليل الماضي حين اذ كان هو يشعر بدنو اجله

وحكى اسكندر سكرفن احد البنائين انه كان ذات يوم يشتغل في عمله فشعر شعورًا شديدًا بما يدعوهُ للذهاب الى بيته وكان البيت بعيدًا عن موضع عمله والعمل يقضي بوجوده مشتغلاً فيه فاراد ان يصرف فكره عما اوحاه اليهِ شعوره من ترك عمله فما استطاع حتى اضطر الى تلبيته وذهب الى داره وهو يقول في نفسه ان امرأته لا بدّ ان تهزأ به لمجيئه من غير سبب فلما دنا من البيت قالت له احدى النساء كيف عرفت بالامر فاخذته الدهشة ولما دخل الدار رأى

امرأته طريحة الفراش تأثرًا من سقطةٍ اثخنتها جراحًا وجعلتها تتألم وتنادي زوجها

وكتب احدهم قائلاً اني كنت في منجم من مناجم الفحم الحجري اناظر على عشرين عاملاً يشتغلون في قسمين منفصلين عن بعضها احدها شمالي والآخر جنوبي فبعد ان طفت على الذين في الشطر الشمالي اتجهت صوب الجنوبي وما بلغت ذلك الموضع الا وقد شعرت في نفسي بحاجة شديدة للرجوع الى القسم الشمالي مع اني لم اكن قضيت الواجب عليَّ من مشاهدة اعمال الذين في القسم الجنوبي فحاولت ان اتغلب على هذه العاطفة والميل الشديد فما اقتدرت ولا استطعت الا الانقياد لما وقر في نفسي من العودة الى القسم الشمالي وفيما انا عائدٌ خطر في بالي فتى من العملة فعدت الى التردد عن الذهاب ولكن عادت العاطفة فغلبتني فذهبت وما بلغت احدى زوايا المنجم الا ورأيت على ضوء المصباح ان حاملهُ ذلك الفتى الذي خطر على بالي في موقف حرج جدًا دلت عليه ملامح وجهه ذلك انهُ كان سائرًا امام مركبةٍ تنقل الفحم من عند العملة ولم يسر وراءها حسب العادة ولا حاذر الخطر مع ان رفاقه نبهوه اليه مرارًا فلما بلغ احدى الزوايا مرَّ من امامها مسندًا الى الجوار فمرَّت المركبة وكادت تضغط عليه فوق الصخر فتزهق روحهُ ولكني وصلت اليه في تلك الهنيهة فاستغاث بي واغثتهُ وانقذتهُ ولو لم اكن قد اتيت ساعتئذٍ لذهب ضحية جهله وتهوره لان العملة كانوا منه بحيث لا يسمعون لهُ صوتًا

وفي محفوظنا حوادث جمة من هذا القبيل منها ان رجلاً دُعي الى عمل وكان قادرًا على اتمامهِ فلما باشرهُ خطر لهُ ذات يوم ان الذين دعوه اليه وسروا بالحصول على رضائهِ بل حسبوا ذلك عنوان مجدهم وسبب سعادتهم سوف يبعثون اليه بالعدول عن ذلك بتةً فسخر من هذا الخاطر القائل لما كان يعلم من مسرة اصحاب العمل ومع هذا فكان الخاطر يتردد عليه كثيرًا سيما وهو على الطريق المؤدي الى موضع العمل ومن الغريب انه لم تمضِ ايام معدودة حتى نقض اصحاب العمل ما تمَّ من جهتهم وابلغوا الرجل عدولهم عن اتمامه ما بدأ بهِ فكان بذلك وقوع الحادث الذي حدس بهِ

وكذلك عرفنا رجلاً كان غائبًا عن وطنهِ فتصوَّر ان امرأتهُ قد توفيت ومع انهُ لم يكن عارفًا بمرضها ركب للحال واسرع الكرة حتى بلغ ضاحية بلدهِ فرأى اناسًا خارجين منها الى المدفن فتحقق حدسهُ اذ كان الميت امرأتهُ

على ان هذه الشواهد الجمة لا تقطع العدال في صحة الامر اذ قد يمكن ان يكون الصحيح منها صدفةً وان يكون معظمها على غير الواقعة المروية لان الكثيرين من نقلة الاخبار يتفننون بالاكاذيب لتكون كتاباتهم مقبولة لدى القراء بما يستملحون من نكاتها · على ان هذا البحث لم يعدم من مثل هؤلاء النقلة من بالغ وغالى في النقل طلبًا لاثبات الغرائب اعتبر ذلك بما قالوا من ان بعض بنائي السفن المشهورين في نيو يورك باميركا قد ابتنوا مركبين كبيرين اوصي عليهما احد تجار كلكوتا في الهند فانجز العملة احد المركبين قبل الآخر وبعثوا بهِ الى كلكوتا فاضرموا فيه النار وجرى به البخار فاتصل التأثر بالباخرة الاخرى الراسية في نيو يورك وظهر منها الميل للسفر واتجهت آلتها البخارية للحركة قبل ان يدفعها البخار مما اعجب الحاضرين وادهشهم ولكنهم علموا بعد حين ان الباخرة الاخرى قد مخرت العباب في ذلك الحين فعذروا اختها لانها شاركتها في التأثر ومالت الى الحراك

واعجب من هذا واغرب ما حكوهُ عن خلقين كبير استخدموهُ في احد المصانع الامريكية في سنسناتي مدة اربعة عشر عامًا حتى رأوه قد تعطل فاستصنعوا خلقينًا اخر يحاكيه شكلاً وقوةً ولما جاؤا به وضعوهُ موضع القديم ونقلوا هذا الى حقل بعيد عن المصنع مدى اربعمائة يارد ومن ثمَّ اضرموا النار تحت الخلقين الجديد واشتغلوا اربعة ايام واذا بالضوضاء قد علت فتبين القوم ان الخلقينين القديم والجديد قد انفجرا في وقت معًا هذا وهو على النار وذاك وهو ملقيٌ في الحقل وان قطع الحديد من الخلقينين اتجهت بالانفجار صوب بعضهما وسقطت معًا في منتصف المسافة · قال الراوي الصادق وكان بعض الصبية يلعبون على مقربة من الخلقين القديم لكن في غير جهة اتجاه قطعهِ فشهدوا الانفجار ولم يصب احدمنهم بضرر

قلت ومن غرائب راوي هذه الاكذوبة انهُ يدعي امكان اثباتها ولكنه يكذب خبر الباخرتين ولو كذبه راوي خبرهما لصدق الاثنان والله اعلم

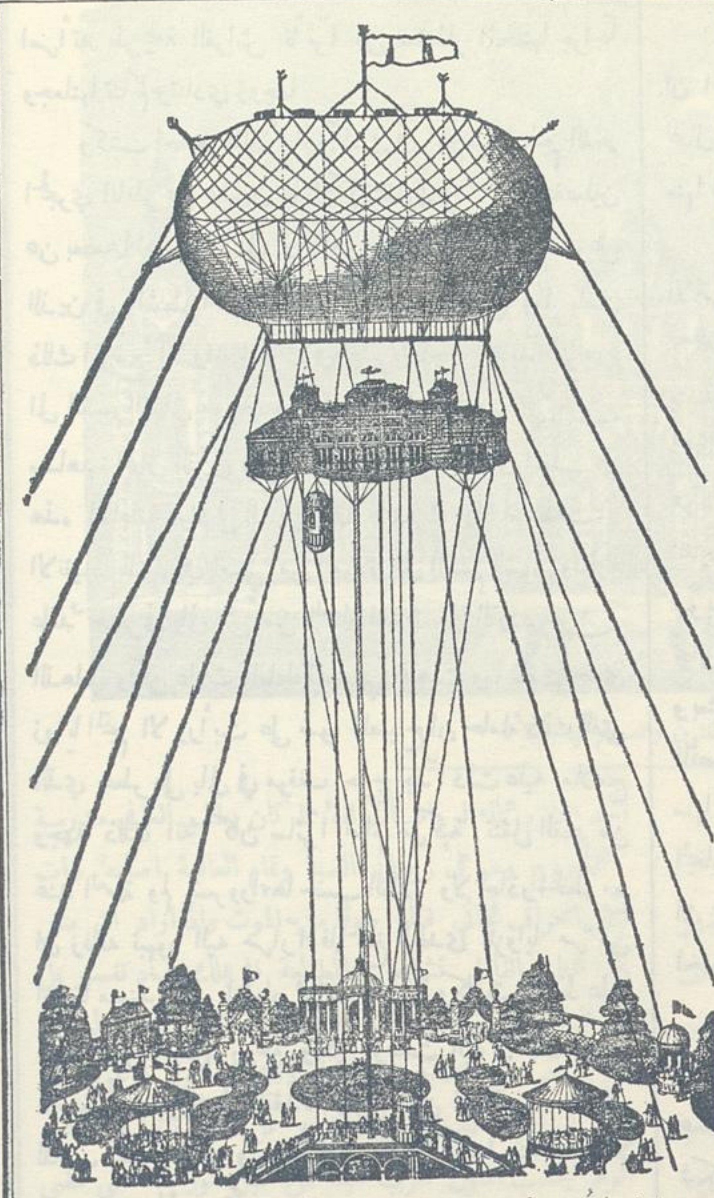
المنطق

لحضرة الكاتب المجيد « المحجوب »

اعرني صبرك ايها القارئ اللبيب قليلاً ولا يحملك العنوان على التأفف والقول باني طرقت موضوعاً قديماً لم يغادر المناطقة فيه من متردم ونحن في حاجة الى الطلي الحديث فما انا الا على رأيك . ولست الآن بمعدد لك احكام القضايا ولا بشارح القول الشارح وانما اتلو عليك ماهية المنطق وانقل اليك لمعة من تأريخه على قدر ما يسعنا المقام

فالمنطق اسم لعلم من العلوم المدونة ويسمى بالميزان وفي عرف المتأخرين هو القسم الثاني من الاقسام الاربعة التي تقسم الفلسفة اليها اليوم . اما البحث في ماهيته فطالما كان مجالاً لمناظرة المبرزين من رجال الفلسفة وابطال العلم كالرواقيين والابيقوريين والاكاديميين وفلاسفة العرب ومن بعدهم مناطقة العصور الوسطى من الفرنجة ومع ذلك كله كان جدالهم على غير جدوى وما برحت القضية على تقادم عهدها عرضة للناقدين ما بتّ حكمها ولا فصل خطابها ذلك مما يحمل على القول انها ليست بالامر الهيّن وانها من الاهمية بمكان وان وجد نفر من فلاسفة عصرنا الحالي نبذوا الخوض فيها نبذ النواة ولم يفوها حقها من بحثهم العميق وتمحيصهم الدقيق هذا ولننظر في السبب الذي من اجله تداعت رغائب العلماء الى البحث عن ماهية المنطق وتفانت هممهم في انشادها ذلك لان غاية الانسان العظمى وضالته الكبرى ايجاد الحقيقة فانه كيفما افتكر وكيفما عمل فالحقيقة ابداً مبتغاه فتراه يتساءل في نفسه هل من آلة تحقق هذه الامنية ؟ وهل ان المنطق هو تلك الآلة ؟ مسألة ماوجدت حتى حومت حولها اثقب العقول واذكى الفطن فان كان المنطق هو تلك الآلة التي من شأنها ارشاد الانسان الى الحقيقة فهي ولا غرو من انبل الآلات واشرفهن ومن الواجب على الانسان بل من امس حاجاته درس المنطق ليخرج من ظلمات الغباوة ويهتدي بنوره الساطع الى عالم الحقيقة . هذا لعمري ما حمل المناطقة على البحث في هذه القضية ونعم ما فعلوا

على ان بلوغ هذه البغية من المنطق غير مستطاع ولربما لا ينال المستقبل منه نصيباً اوفر مما نالته الايام الماضية . هذا وقد صحبته السنون ما يربو على الالفين فما عجز عن فعله تلك الاعوام بطولها لن يقتدر عليه في الايام الآتية . لا اقول ذلك متابعة للاادريين وغيرهم ممن يطعنون على العقل الانساني ويغضون من قدره وانما اقول الحق الصراح بانهم يطلبون من المنطق ما هو فوق طاقته



اعظم ما عُرض في المعرض الذي اقامته بلجيكا في انفرس سنة ١٨٩٦ قصر قائم في الهواء . وهذا رسمه . اعلاه منطاد كبير (بالون) يرفع القصر بحبال متينة والمنطاد مشدود بالجبال الى ابنية عظيمة في الارض كما ترى في الرسم حتى لا يصعد بالقصر الى طبقات السماء . ويصعد الى هذا القصر على مرقاة طرفاها واحد في القصر فوق وواحد على الارض تحت فاذا جلس في كل منها جالس ارتفع الذي تحت وهبط الذي فوق وبذلك يتم الصعود والنزول . وقد اظهر البلجيكيون بهذا القصر امكان « بناء القصور في الهواء » . وهو مثل يُضرب لمن يروم المستحيل .

ولا حاجة بنا بعد لمزيد الكلام عما بذل المناطقة من الجهد في مناظراتهم «هل المنطق علم او آلة» فالذين قالوا انه علم اقتصروا على تحديده بقولهم انه يعلمنا كيف يقيس الانسان في المحاجة ويبرهن وقال الفريق الثاني انه يرشد الانسان الى اجادة المحاجة واحسان سرد القياس وانه يعصم الذهن عن الخطاء

ويجدر بنا قبل الخوض في حل هذه القضية ان نذكر للقارئ اللبيب ان الفلسفة اليوم مؤلفة من اربعة اقسام فالقسم الاول منها العلوم النفسية (بسيكولوجيا) والثاني المنطق والثالث علم الآداب والرابع علم ما وراء الطبيعة. ومما أجمع عليه ان القسمين الاول والاخير من الفلسفة هما علمان فالاول يبحث في قوى العقل الانساني والاخير يبحث في الموجودات المجردة عن المادة واما الاداب والمنطق ففي امرهما الخلاف. ففريق يقول ان الاول اي الاداب ترشد الانسان الى اتباع الفضائل حال كونها علماً بحثاً نتوصل به الى معرفة الشرائع الغريزية الكائنة في ضمير كل انسان اما العمل بموجبه فمن خصائص التربية والتهذيب ليس الا

واذا تبين لك ذلك فاعلم ان المنطق كالاداب ايضاً علم وليس بآلة اي علم نعرف به شرائع العقل الانساني في محاجته ومقايسته كما نتوصل بعلم الاداب الى معرفة الشرائع الادبية الموجودة في كل انسان على اختلاف شؤونه و تنوع بيئاته واذا اردنا آلة نتوصل بها الى الحقائق فلنطرق غير باب المنطق لانه علم والعلم غير الآلة. الا ان الفلسفة خدمتنا بعض الخدمة في ذلك بان اوجدت لنا الطرائق Methodes وليست الطرائق بقسم من المنطق ولقد اخطأ الذين مزجوها به

هذا وان حسبنا المنطق آلة فمن الضرورة ان يتأتى من كيانه على تلك الكيفية النتائج الاتية

(اولاً) ان العقل الانساني كان قبل وضع المنطق اقل محاجة ومقايسة منه في الزمن الذي يليه. فان خلوه من آلة مفيدة كالمنطق تجعل قواه العاقلة اقل اقتداراً على العمل لان الآلات وجدت لتسهل الاعمال على الانسان وتزيدها انتظاماً

(ثانياً) انه بعد وضع المنطق بلغ العقل الانساني من النجاح شأواً بعيداً

(ثالثاً) ان العصور التي انصرفت بكليتها الى درس المنطق كانت اعظم كل العصور اذدهاء ونجاحاً والعصور التي اهملت دراسته كانت اشد العصور جهالة واعرقها غباوة

(رابعاً) لا تستطيع المعارف اجمعها ان تتجاوز درس المنطق لأنها اسست على اصول القياس

(خامساً) يجب ان تكون اجادة المحاجة في الافراد تابعة لمقدار ما حصلوه من المنطق

ولا ريب ان كل عاقل يرى لاول وهلة وهن هذه النتائج وبعدها عن الصواب فان المنطق لم يضعه ارسطو الا قبل التاريخ المسيحي باربعة اجيال وكان جهابذة العلم من اليونان قبل هذا العهد بنحو ستمائة سنة اظهروا للعالم مؤلفات جمة في كل فن ومطلب هي غاية في الاجادة والبراعة ذلك منذ عهد هو ميروس الى زمن هيبوقريط وافلاطون ناهيك انه لم يرَ بعد اختراع المنطق اي بعد زمن ارسطو ان العقل اليوناني اكتسب قوة جديدة وفوق ذلك ان انحطاط الامة اليونانية بدأ بجملة اسباب اخرى حوالى ذلك العصر ومن ذلك الحين اخذت الامة الهيلانية تزداد تأخراً وانحطاطاً جيلاً بعد جيل رغماً عما افرغ رجالها من الجهد في المنطق ضالتهم الوحيدة هاتيك الايام بجملتها. وهذه مدرسة الاسكندرية الذائعة الصيت مرّت عليها ثلاثة قرون متوالية وهي زاهرة بعلومها زاهية بمعارفها ومع ذلك لم تتخذ المنطق امام دروسها ولا كان له عند طلابها شأن كبير. ولقد ظلّ المنطق نحواً من ستمائة سنة في العصور الوسطى وهو العلم الوحيد الذي كان يستنفد الوسع في دراسته ويستفرغ الجهد في تطلبه. ومع انعكافهم عليه وانصبابهم اليه كانت تلك الايام ابعد العصور عن منازل التمدن والعرفان واعرقها غباوةً واشدها ظلاماً. وانا لنرى الامر خلاف ذلك منذ الجيل الخامس عشر حين اخذ الفرنجة بالنهضة من سباتهم العميق وسعوا سعياً حثيثاً وراء اجتناء العلم واكتساب المعارف حتى بلغوا شأوها البعيد من النجاح حال كونها لم تكن تعبأ بالمنطق ولا احتفلت به. ولا ريب ان الذي حدث في الزمن الماضي يحدث مثلهُ ايضاً في الحاضر والمستقبل فالعلوم على اختلاف موضوعاتها لم تفتقر الى المنطق ولا اعتمدت عليه وقد بلغت من ذاتها مبلغها الحالي من السمو والكمال. واذا اردت مزيد بيان فالافراد ايضاً لا يعوزهم المنطق ليحسنوا المحاجة والمقايسة لأن الانسان حتى في حديثهِ العادي يقيس و يبرهن حسب اصول القياس مهما كان حالهُ من التهذيب ومكانه من العلم. وزد على ذلك اننا نرى الافراد الذين يقتصرون من دروسهم عليه و يكتفون به عن سواه تفسد منهم القوى الحاكمة ولا يستفيد ذهنهم مضاء ولا خاطرهم اتقاداً.

بقي علينا الآن ان نبحث قليلاً في تاريخ المنطق

ام السرور ام الشرور

المسكرات والنساء

تنبهت فرنسا في هذا العام الى ثلاثة امور مهمة . اولها زيادة بحريتها بعد حادثة فشوده وثانيها مراقبة السلطة العسكرية بعد استفحال مسألة دريفوس اتقاء ان تعلو يدها على يد السلطة الملكية . وثالثها ازدياد شر المسكرات في بلادها ومعرفتها وجوب السعي في تلافي هذه الافة المهلكة

وموضوعنا في هذا الفصل الامر الأخير . فقد اجتمع في باريز في اوائل هذا الشهر مؤتمر دولي رأسه وكيل الوزارة الداخلية الفرنسوية للبحث في الوسائل الواقية من شر المسكرات هذه العجوز الشمطاء التي تلد السرور والشرور معاً فلم نر من القيام بواجبات الصحافة ان يجتمع هذا المؤتمر الدولي العظيم و ينفرط عقده دون ان تشير الجرائد اليه اوتقول كلمة في موضوعه .

والذي جعل فرنسا اشد اهتماماً بهذا المؤتمر من سائر الدول الاخرى ان المسكرات اشد فتكاً فيها منها في سائر الامم . فقد جرى اخيراً تقويم المسكرات التي تباع في حوانيت اوروبا فامتازت حوانيت فرنسا عنها كلها واظهر هذا التقويم ان ما يشربه الفرنسويون من المسكرات في السنة اذا وزع على عدد نفوسهم اصاب الشخص الواحد منهم ١٤ لترا في السنة على حين ان ما يصيب الشخص من الامم الاخرى ٧ او ٩ او ١٠ (التار) كل على نسبة حبه لباكوس .

وقد جاءتنا الجرائد الفرنسوية في هذا الشهر طافحة بالكلام على آفة المسكرات وفعلها الذريع في الشعب الفرنسوي . منه كلام حماسي لجريدة الطان قالته تحت عنوان « الخطر الحقيقي » وفحواه ان الخطر الملكي الذي يقول الجمهوريون انه يتهدد الجمهورية والخطر على اسرار الدولة من خائن يبوح بها للعدو وكل ما سوى ذلك من الاخطار الحقيقية والوهمية كل ذلك لا يذكر بازاء « خطر المسكرات » الذي يتهدد الامة الفرنسوية بافناء قواها واستنزاف حياتها . هذا هو الخطر الحقيقي .

وقد وضعت جريدة الماتن فصلا بهذا الموضوع ايضاً سردت فيه تفاصيل تقرير وضعه الدكتور برينون الفرنسوي عن فعل المسكرات في نورماندیا . وقد صرف الدكتور همه في هذا التقرير الى البحث في سكر النساء بنوع خاص فاوصله بحثه الى نتائج توجع الاكباد وتؤلم كل فؤاد .

ذلك انه رأى نساء الشعب في نورماندیا متهافتات على تناول المسكر بوجه عام فالطاهيات يخفين زجاجات العرق بين انية المطبخ والخادمات يعدن من السوق الى المنزل فاقدات الرشد من السكر والمستخدمات في المخازن يحملن في جيوبهن زجاجات العرق ليجرعن منها حيناً بعد حين . والذي زاد المسكرات انتشارا بين نساء الشعب ان اصحاب الحوانيت يسقون اكثر العرق مجاناً للخادمات لكي يجتذبوهن فيبتعن حاجاتهن من حوانيتهم .

قال الدكتور برينون . وكنت مرة في داخل حانوت فدخلت خادمة فشربت كأساً وخرجت ثم عادت بعد حين فاخذت كأساً ثانية وما زالت تذهب وتعود الى المرة الخامسة والوقت لا يزال صباحاً . وقد راقبتها بياض ذلك النهار فرأيت انها انفقت على ابتياع العرق ثلاثة فرنكات . وربما كان ذلك فوق ما تكسبه يومياً

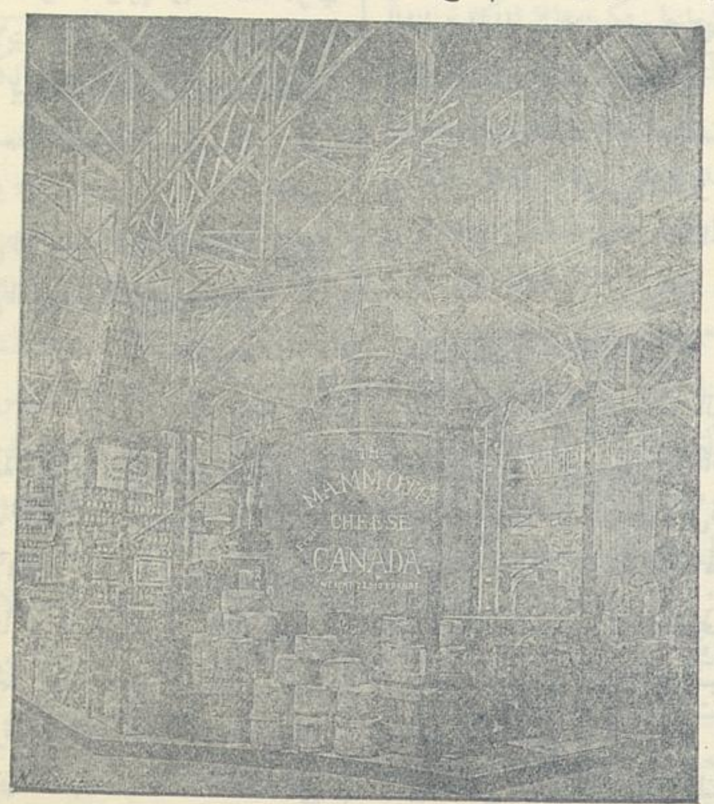
ولما كنت كامناً في هذا الحانوت اتى رجل وفي يده زجاجة فابتاع لترين من العرق لاجل نهاره فقط . .

وما هذا بالامر الكبير بازاء ما تفعله الفقيرات من نساء الشعب . فانهن متى لم يعد في ايديهن ما يشترين به العرق بعن شيئاً من اثاث غرفتهن الحقيرة وابتعن بثمنه تلك الآفة المهلكة . وقد عرفت امرأة تركت زوجها حتى سافر الى بلدة قريبة فقامت الى المقعد وكان فراشه محشوا قطناً فباعت القطن ووضعت مكانه قشاً ثم ابتاعت بثمن القطن عرقاً . وكم عرفت من اناس احسنوا الى فقيرات فكانت هؤلاء التعيسات يبعن ما احسنَ اليهن به و يبتعن بثمنه عرقاً وان اعوزهن الخبز . واشد النساء ولعاً بالشرب العاملات اللواتي يعملن في البيوت . فانهن لا يبدأن بالعمل حتى تكون زجاجة العرق على المائدة ليجرعن منها حيناً بعد حين . وقد تمرض احداهن وتستدعي الطبيب فيحضر واول ما يدخل الى غرفتها يجد زجاجة العرق بيدها وهي تجرع منها . وهكذا ينقرض النسل الفرنسوي و يموت مفتح العيون والزجاجة بيده تقصف عمره وتنزله قبره

هذا ما قالته جريدة الماتن فأحر ببلاد هذه رغبة اهلها في المسكرات ان يجتمع فيها المؤتمر الدولي لمنع ضرر المسكرات . وسنعود الى هذا المؤتمر في العدد التالي



رجلان غائصان في لجة البحر لانقاذ امرأة من الغرق وفوقهمازورق فيه رفيقان لهما ينتظران خروجهما من بطن الامواج . ولما اوشك احد الغائصين ان يبلغ سطح الماء وهو آخذ بشعر المرأة داهمه حوت هائل كما ترى في الرسم فهلعت قلوبهم جميعاً . الا ان الحوت ابدى والحق يقال لطفاً كثيراً . . . . ذلك انهُ كره ايذاء اناس يخاطرون بحياتهم لصنع الخير فوقف يتأمل فيهم من بعيد ثم تركهم ومضى لسبيله



رسم قالب الجبن الكبير الذي عرضه في معرض شيكاغو احد صانعي الجبن في كندا . ثقله ٧٣٦٠ اقة واقتضى صنعه مائتي الف لتر من اللبن (الحليب) اي ما يساوي درّ عشرة آلاف بقرة في اليوم .

التربية والتعليم

فتحنا هذا الباب للامهات والاساتذة والمعلمين في الشرق لنسهل لهم مبادلة الآراء فيه والمباحثة في مسائل التربية والتعليم فان البحث فيهما من اهم ما يحتاج اليه الشرق الآن

تعليم البنات

هل ان التعليم يجعل البنات اقوى فضيلة واحسن اخلاقاً واكثر راحة مما كن قبل التعليم او مما لو كن غير متعلمات

١

الفضيلة — الاخلاق — الراحة .

جوابي على هذه المسائل الثلاث يكون مختصراً طبقاً لرغبتكم . الابنة بلا علم في العالم كالجندي بلا سلاح . وكيف يحارب الجندي و ينتظر النصر اذا لم يكن له سلاح للمحاربة . نريد ان يكون نساؤنا فاضلات فمن واجباتنا اذاً ان نعطيهن سلاحاً لحماية فضيلتهن وهذا السلاح هو العلم . ان فريقاً من الشبان يسهل عليهم جداً غش الابنة الجاهلة ولكنه يصعب عليهم جداً غش الابنة المتعلمة .

هذا بشأن الفضيلة . اما الراحة فرأيي فيها مخالف للراي السابق . العلم ينبه في الابنة قوى كانت كامنة ومطالب ما كانت تخطر لها قبل العلم ببال وكلما ازدادت الابنة تضلعاً من العلم ازدادت بعداً عن حالة البساطة وسكينة البال التي كانت لها قبلاً .

اما الاخلاق فلا اظن انه يوجد اثنان يختلفان في ان العلم يحسنها في الرجل وفي المرأة على السواء . هذا رايي والسلام

«حاجب»

٢

قرأت ما كتبته الجامعة عن المرأة الى الآن بترو وامعان فرأيتها قد ظلمتنا نحن النساء ظلماً كبيراً . لقد انتقدت احوالنا وخفتنا ورغبتنا الشديدة في الملاهي والزينات وغير ذلك فهلا ذكرت ان العهد قريب بخروجنا من تحت نير الرجل والجهل القديم حتى تعطي حريتنا الادبية الثمار الصالحة التي تليق بنا و بالهيئة الشرقية . ومسلوم ان الطفرة محال فلا يمكن النساء الشرقيات ان ينتقلن بغتة من الجهل والاستعباد الى حالة الملائكة التي تريدها الجامعة بل يجب عليهن ان يمررن بهذه الطريق التي يسلكها النساء في هذا الزمان عملاً بالناموس الطبيعي الذي يقتضي التقدم تدرجاً لا وثباً . ومع ذلك فاخواتهن في الغرب لسن ملائكة على ما ارى ... واعتقد من صميم القلب ان الرجل الشرقي يجب ان يكون اقل شكوى من امرأته من الرجل الغربي . فبدلا من ان ننادي على النساء بالويل والثبور يجب ان نمدح المرأة الشرقية على تقدمها وارتقائها والا كنا لها من الظالمين .

اما اقتراح الجامعة بشأن تعليم المرأة وتأثيره فيها بالنظر الى فضيلتها واخلاقها وراحتها فمما نشكرها عليه لانه يفتح لنا باباً للقول بان التعليم الذي تتلقنه البنات الآن في المدارس الشرقية ليس بالتعليم الصحيح الذي يجلب السعادة للعائلة . وعندي ان للمسألة وجهين . الاول الحكم فيها بالنظر الى التعليم على الطرق الحاضرة والثاني بالنظر الى التعليم على الاطلاق . فان كان الامر الاول فالتعليم الحاضر في رايي لا يفيد كل الافادة المطلوبة لانه غير صحيح المبدإ وهو كثير الشبه بتعليم الرجال . وان كان الوجه الثاني فاي غبي ينكر ان العلم الصحيح يقوّي فضيلة المرأة و يحسن اخلاقها و يجلب راحتها . وما معنى التعليم . اليس معناه زيادة قوانا وجعلنا احسن مما كنا قبله .

«احدى القارئات»

٣

يحتمل اقتراحكم ثلاثة اجوبة

اولاً — هل ان التعليم يجعل البنات اقوى فضيلة؟ كلا : لان الامرأة كما هو مشهور اذا كانت جاهلة فانها على الاكثر تجتنب المعاشرة وهذا مما يجعل ترس فضيلتها اقل تعرضاً للسهام . اما العلم فانه يعرفها قيمة نفسها وما لها على الرجال من السلطان فتطلب المعاشرة مدفوعة الى ذلك بحب التسلط الفطري فتسقط غالباً حيث تظن انها تعلو وتكون فضيلتها معرضة لسهام عديدة وحبائل لا مناص لها في اكثر الاوقات من الوقوع فيها

ثانياً — هل ان التعليم يجعل البنات احسن اخلاقاً ؟ نعم : لان الانسان من فطرته مجبول على الشر . والابنة الجاهلة اخلاقها لا تطاق . والبرهان على ذلك ان تجالس ابنة جاهلة وابنة

متعلمة وتنظر البون بين هذه وتلك — دماغ البشر محاط بغشاوة كثيفة لا يجلوها الا العلم ولولاه لكانت طباع الانسان اشبه بطباع الوحوش منها بطباع البشر.

ثالثاً — هل ان العلم يجعل البنات اكثر راحة ؟ نعم فانه بتأثيره الحسن وانواره الساطعة يجلو عن القلوب دياجي الكدر . انظروا هذه الابنة العالمة كيف انها تحتمل المتاعب والتجارب بتبسم الفيلسوف وانظروا الى تلك الابنة الجاهلة كيف تكون في المتاعب حائرة غير هادئة لا تعرف ان تهدي لوعتها ولا اين تجد سلوتها . نعم ان العلم يطوّح بعض الاحيان بالابنة الى ما لا يرام وانما هذا من بعض ملذاتها وهل من تعب في الملذة . ففي رأيي ان التعليم يجعل البنات اقوى فضيلة واحسن اخلاقاً واكثر راحة مما كنّ قبل التعليم او مما لو كن غير متعلمات

الاسكندرونه «عفيفه راجي»

٤

لا اعلم في اي جريدة قرأت هذه العبارة «العلم عناء والجهل هناء» وبحسب رأيي ان هذه العبارة صحيحة فان العلم اذا كان نورا كما يسمونه فانه نور يشرق علينا نحن الشرقيين ليرينا ما حولنا من آثار الشقاء كما قال فينا احد حكماء الافرنج . واي فائدة للابنة من العلم . هل انها ستكون عالمة او كاتبة او مخترعة . اذا قلنا انه يفيد فضيلتها فهذا غير صحيح لان العلم لا علاقة له بفضيلة المراة وحسن ادبها وانما هذا الامر يتوقف على تربيتها العائلية وعلى القدوة التي تراها في المنزل . واذا قيل انه يفيد اخلاقها فما احلى اخلاق بعض البنات البسيطات غير المتعلمات واشرس اخلاق بعض المتعلمات . واذا قيل ان العلم يجلب الراحة للابنة المتعلمة قلنا هذا ليس بصحيح ايضاً بل هو يجلب لها التعب والعناء لانه يكثر شواغلها العقلية ويلهيها عن واجباتها البيتية التي خلقت لاجلها دون سواها . نعم المراة وجدت لخدمة المنزل ولتربية الاولاد وطاعة الزوج طاعة عمياء ليستقيم سير المنزل واذا افتكرت بغير ذلك فانها تخالف مشيئة الله وتخرج عن الدائرة الطبيعية التي وضعت ضمنها . ولو قيل لي اي تختار زوجة لك . هل تلك الابنة المهذّبة في احسن المدارس التي تلقنت ثلاث او اربع لغات وتعلمت الموسيقى والرقص وكل ما يجب للجمعيات ام تلك الابنة الجاهلة البسيطة التي لا تعرف من العلم شيئاً حتى القراءة والكتابة . المنزوية في بيتها تحت جناحي امها . المصروف همها الى خدمة المنزل والعناية باموره فتكون خادمة في المطبخ مع الخادمات وسيدة في القاعة مع السيدات وتعمل كل شيء بيدها حتى عجن العجين وغسل الثياب ؟ لاجبت حالاً بدون تردد اختار الثانية لانها اقوى فضيلة واحسن اخلاقاً واكثر راحة والسلام

«خفيف»

المدارس في ولاية قوصوه

سألت نظارة المعارف ولاية «قوصوه» عن عدد المدارس اللازم تأسيسها في هذه الولاية وعن انواعها فاجابت ان تلك الولاية هي في حاجة الآن الى تشييد اربعمائة واحدى وثلاثين مدرسة ابتدائية للذكور واربع عشرة مدرسة ابتدائية للبنات ومدرسة اعدادية للذكور وثلاث مدارس رشدية للذكور ومدرستين رشدية عسكرية والخلاصة يجب تأسيس اربعمائة واثنتين وخمسين مدرسة وقد تقرر انشاؤها وصدر الامر السلطاني بتخصيص مائة الف قرش نفقات سنوية تصرف عليها . (معلومات)

شفاء التلامذة الكسالى

من وجع البطن

وجدت مدارس سويسرة دواء يشفي التلامذة الكسالى من وجع البطن والم الرأس وغيرها من الآلام الاحتيالية التي قد يتذرّع بها الاولاد لترك الذهاب الى المدرسة . ذلك انها متى قيل لها ان احد تلامذتها مريض ترسل اليه طبيباً من قبلها بالحال فيفحص الطبيب التلميذ فاذا وجده مريضاً اعطاه علاجاً واخذ اجرة زيارته من المدرسة واذا وجده متمارضاً دفع اهل التلميذ للطبيب اجرة زيارته . فبهذه الوسيلة اصبحت الام لا تتساهل مع ولدها في ابقائه في البيت بحجة الالم في معدته او في رأسه لانها تدفع للطبيب نصف جنيه غرامة عن هذه الحيلة ولذلك بطل تمارض الاولاد في سويسره وغني عن البيان ان التعليم في سويسره «الزامي» وهذا هو السر في هذا الاكراه المفيد

باب الشعر والانشا

نشر في هذا الباب قصائد وشذرات بمواضيع مختلفة لشعراء وكتاب من المتقدمين والمتأخرين تكون قدوة للكتاب والشعراء ويكون فيها فائدة ولذة للقراء

الخنساء

نورد في هذا الجزء طرفاً من تاريخ حياة الخنساء اشعر شواعر العرب وشيئاً من شعرها انجازاً لوعدنا في الجزء السابق فنقول ·

الخنساء في اللغة الظبية اما اسم الشاعرة فتُماضر بنت عمرو بن الشريد السلمي · برزت في الشعر عن جميع نساء العرب ولم يجارها فيه الا ليلى الاخيلية صاحبة توبة · وفي ذلك يقول بعضهم « ليلى اكثر تصرفاً واغزر بحراً واقوى لفظاً والخنساء اذهب عموداً في الرثاء »

والخنساء معدودة من الطبقة الثانية في الشعر · وكانت في اول امرها تقول البيتين والثلاثة فلما قتل اخوها صخر الذي كانت شديدة الولع به جلست على قبره تبكيه وترثيه فاطلق الحزن قريحتها فانطلقت في ميادين البلاغة والرثاء · وفي اخيها جل ما قالته من شعرها

ويقول كتاب العرب ان سبب ولع الخنساء باخيها صخر وصرفها العمر في بكائه ورثائه انه كان موصوفاً بالحلم والجود والشجاعة محظوظاً في العشيرة واجمل رجل في العرب · لكن يلوح لنا انه يجب البحث عن سر هذا التعلق الشديد في قلب المرأة لا في مكارم اخلاق الاخ ومحاسنه · فان الخنساء لولا ان قلبها صحيح الشعور شديد الاحساس بسيط فطري لم تفسده الحاجات البشرية ولم تشغله عن حزنه وتستهويه شواغل الحضارة اليها لشفي من الحزن في بضعة شهور مهما كان جرحه عميقاً

اما مقتل اخيها صخر فقد حدث في يوم كلاب ويقال له ايضاً يوم ذات الاثل في غزوة شنها صخر ببني خفاف على بني اسد فاكتسح اموالهم وسبى نساءهم فتبعوه فالتقوا بذات الاثل فاقتتلوا وطعن ربيعة بن ثور الاسدي صخراً في جنبه فمرض صخر من هذه الطعنة قريباً من حول حتى سئم الحياة · ولما اشتد عليه مرضه نتأت قطعة مثل الكبد في جنبه في موضع الطعنة فاختار قطعها فاما الموت بعد القطع واما الشفاء · وكانت الخنساء تعود اخاها كثيرا وفي ذلك يقول صخر

اري ام عمرو لا تمل عيادتي ... وملت سليمى مضجعي ومكاني

وام عمرو كناية عن الخنساء وسليمى اسم امرأته

ومات صخر بعد شق جرحه فدفن في جبل عسيب وهو في ارض كانت لبني سليم الى جانب المدينة فاقامت الخنساء على قبر صخر تبكيه وترثيه

ومن جيد رثائها قولها

اعينيَّ جودا ولا تجمدا ... الا تبكيان لصخر الندى
الا تبكيان الجريءَ الجميل ... الا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العماد ... ساد عشيرته امردا
يكلفه القوم ما عالهم ... وان كان اصغرهم مولدا
اذا ذكر المجد ألفيته ... تأزر بالمجد ثم ارتدى

ومنه

وكنت اذا كفٌّ اتتك عديمة ... ترجي نوالا من سحابك بُلَّتِ
وكنت لنا عيشاً وظلَّ ربابة ... اذا نحن شئنا بالنوال استهلتِ
وما كرَّ الا كان اول طاعن ... ولا ابصرته الخيل الا اقشعرتِ
فيدرك ثاراً ثم لم يخطه الغنى ... فمثل اخي يوماً به العين قرتِ
فلست أُرزَّا بعده برزية ... فاذكره الا سلت وتجلتِ

ومن شعرها النادر قولها

وان صخراً لوالينا وسيدنا ... وان صخرا اذا نشتو لنحارُ
وان صخراً لمقدام اذا ركبوا ... وان صخرا اذا جاعوا لعقارُ
وان صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نارُ
لم تره جارة يمشي بساحتها ... لريبةٍ حين يخلي بيته الجارُ
لا يمنع القوم ان سالوه خلعته ... ولا يجاوزه بالليل مرَّارُ

وقيل لجرير من اشعر الناس قال انا لولا هذه ·· الخبيثة · قيل فبمَ فضلتك · قال بقولها

ان الزمان وما يفنى له عجب ... أبقى لنا ذنباً واستؤصل الراس
ابقى لنا كل مجهول وفجعنا ... بالحالمين فهم هام وار ماس
ان الجديدين في طول اختلافهما ... لا يفسدان ولكن يفسد الناس

وكأنه قيل للخنساء بعد هذه الابيات او غيرها مما يشابهها لئن مدحت اخاك بها فقد هجوت اباك فقالت تصف صخرا وتساويه بابيها مع مراعاة حق الوالد ·

جاري ابـاه فاقبلا وهما يتعاوران ملاءة الفخر
حتى اذا نزت القلوب وقد لزّت هناك العذر بالعذر
وعلا هتاف الناس ايهما قال المجيب هناك لا ادري
برزت صحيفة وجه والده ومضى على غلوائه يجري
اولى فاولى ان يساويه لولا جلال السن والكبر
وهما كأنهما وقد برزا صقران قد حطا على وكر

ولها ايضاً

تقول نساءٌ شبت من غير كبرة وايسر مما قد لقيت يشيبُ
اقول اباحسان لا العيش طيب وكيف وقد افردتُ منك بطيبُ

وقالت وقد سمعت حمامة تسجع

تذكرصخرا اذ تغنت حمامهٌ هتوف على غصن من الايك تسجع
فظلت لها ابكي بدمع حزينةٍ وقلبي مما ذكرتني موجع
تذكرني صخرا وقد حال دونه صفيح واحجارٌ و بيداء بلقع
فان كان صخر الجود اصبح ثاويا فقد كان في الدنيا يضرو ينفع

وادركت الخنساء الاسلام فاقبلت في خلافة الامام عمر الى المدينة حاجة بزي الجاهلية فقام اليها الامام عمر فرآها تطوف البيت محلوقة الرأس تبكي وتلطم خدّها وقد علقت نعل صخر في خمارها جريًا على عادة نساء العرب في الحزن قبل مجيء الاسلام فوعظها فقالت: اني رزئت فارسًا لم يرزأ احد مثله فاجابها الامام: ان الاسلام قد غطى ما قبله وانه لا يحل لك لطم وجهك وكشف رأسك. فكفت وقد اقنعها هذا الكلام وانشأت تقول.

واني والبكا من بعد صخر كسالكةٍ سوى قصد الطريق
فلا وابيك ماسلبت صدري بفاحشةٍ اتيت ولا عقوق
ولكني وجدت الصبر خيرًا من النعلين والرأس الحليق

وقد خطب الخنساء في صباها دريد ابن الصمة فردّته فهجاها فقيل لها الا تجيبينه فقالت: لا اجمع عليه ان ارده وان اهجوه. ثم خطبها رواحة بن عبد العزيز السلمي فولدت له عبد الله ثم خلف عليها مرداس بن ابي عامر السلمي فولدت له يزيدًا ومعاوية وعمرًا فجملة ابنائها اربعة بنين

« فلما ضرب البعث على المسلمين لفتح فارس سارت معهم وهم رجال فحضرت وقعة القادسية سنة ١٦ هجرية واوصتهم من اول الليل قبل القتال وصية طويلة شجعتهم بها فلما اضاء الصباح تقدموا الى مراكزهم واحدًا بعد واحد ينشدون اراجيز يذكرون فيها وصية امهم لهم في الليل حتى قتلوا عن آخرهم فبلغها الخبر فقالت: الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم وارجو من ربي ان يجمعني بهم » فما اشبه الخنساء في هذا باولئك الاسبرطيات الشهيرات.

وتوفيت الخنساء في بداية خلافة عثمان سنة ٢٤ هجرية وكانت وفاتها في البادية.

ومما يؤثر عن الخنساء دلالة على مبلغها في البلاغة واللغة قصتها مع حسان ابن ثابت. ذلك انها عرضت يومًا في معرض الشعر في عكاظ على النابغة الذبياني رئيس الموسم شيئًا من شعرها فقال لها « اذهبي فانت اشعر من كل ذات ثديين ولو لا ان هذا الاعمى انشدني قبلك (يعني الاعشى) لفضلتك على شعراء هذا الموسم فانك اشعر الانس والجن » وكان ممن عرض شعره حسان ابن ثابت فغضب وقال — انا اشعر منك ومنها. فقال النابغة اجيبيه يا خناس. فقالت الخنساء لحسان: ما اجود بيت في قصيدتك هذه التي عرضتها الان. قال اجود بيت قولي

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا يقطرن من نجدة دما

فقالت الخنساء « ضعفت افتخارك في ثمانية مواضع فقد قلت (لنا الجفنات) والجفنات ما دون العشر ولو قلت الجفان لكان اكثر. وقلت (الغر) والغرة بياض في الجبهة ولو قلت البيض لكان اكثر اتساعًا. وقلت (يلمعن) واللمع شيء يأتي بعد شيء ولو قلت يشرقن لكان اكثر لان الاشراق ادوم من اللمعان. وقلت (بالضحى) ولو قلت بالدجى لكان اكثر طرّاقًا. وقلت (اسياف) والاسياف ما دون العشرة ولو قلت سيوف لكان اكثر وقلت (يقطرن) ولو قلت يسلن لكان اكثر. وقلت (دمًا) والدماء اكثر من الدم. فسكت حسان ولم يحر جوابًا »

قال بشار: لم تقل امرأة قط شعرا الا تبين الضعف فيه فقيل له: او كذلك الخنساء. قال: تلك فوق الرجال.

ارجأنا الشروع في كتابة تاريخ حياة اعاظم الرجال الى الجزء التالي بالنظر الى ضيق المقام وقد ضاق هذا الجزء عن باب المرأة والعائلة ايضًا

جعبة الجامعة

حفظ النظر — راسمال الانسان عيناه فلاهم لديه من حفظ سلامتهما . واذا اردت حفظ عينيك فعليك بهذه النصائح (١) لا تنم في مكان يقع منه نظرك على نور النافذة عند نهوضك في الصباح (٢) اذا وجدت في الصباح جفنيك ملتصقين فلا تفتحهما بالقوة بل امسحهما بلعابك ثم اغسل وجهك بماء قليل الحرارة (٣) لا تدلك عينيك وان شعرت بحاجتك الى ذلك (٤) لا تقرأ ولا تخط ثوباً وانت جالس امام نافذة او باب ينبعث منه النور اليك على خط مستقيم بل دع النور يأتيك دائماً من مكان عالٍ ويقع على جانبك الايسر (٥) لا تقرأ ولا تشتغل بشيء على نور ضعيف واذا كان النور كافياً واعترضك في قراءتك او في شغلك ما لا يقرأ ولا يعمل الا بالامعان الشديد فاترك ذلك بالحال (٦) لا تقرأ في الغسق (بعد غياب الشمس) ولا في ضوء القمر ولا اذا كنت السماء غائمة شديداً (٧) اذا انتقلت من الظلام الى نور شديد فلا تسرع الى القراءة بل انتظر حتى تالف عيناك النور . (٨) اجتنب جهدك ان تنتقل فجأة من النور الى الظلام (٩) ضع ورقة على مصباحك تعكس نوره الى كتابك من غير ان يقع على عينيك (١٠) لا تكن كصاحب هذه النصائح وناقلها فانهما يعرفان منافعها وقلما يعملان بها

مقدار ما يلزم للمتكلم والكاتب من الكلام — نشر حديثاً في الولايات المتحدة قاموس للغة الانكليزية جاء فيه ان كلمات هذه اللغة الانكليزية « والمتكلنزة » يبلغ عددها ٣٥٠ الف كلمة . ولكن الالسنة والاقلام لا تحتاج في التكلم والكتابة الى هذا المقدار من الكلام . فان شاكسبير اكثر الكتاب الانكليز استعمالا للكلام المألوف وغير المألوف كان يستعمل ١٦ الف كلمة فقط والشاعر ملتون كان لا يستعمل الا ٨ آلاف كلمة ويوجد اليوم رجل من كبار الكتبة لا يستعمل الا اربعة آلاف كلمة . اما غير الكتاب فلا يحتاجون في قضاء حاجاتهم الى اكثر من ٥٠٠ كلمة وفي بعض القرى الصغيرة لا يحتاج المتكلم الى اكثر من مائتي كلمة . ويكفي الانسان ان يعرف الفي كلمة حتى يكون قادرا على فهم الجرائد والكتب الادبية حق الفهم

شجرة باروتر — في الاشجار شجرة تدل على الصحو وعلى المطر وهي شجرة المبس (Alisier) فان ورقها ذو وجهين مختلفين الواحد اخضر والثاني قطني ابيض . وهي فرنسوية في الاصل ذات زهر ابيض طيب الرائحة وثمر احمر طيب ايضاً . ودلالتها على الصحو والمطر في ورقها . فاذا رأيتها خضراء اللون كان ورقها في وضعه الطبيعي فخذ قضيبك واخرج بلا دثار اذا اردت فا عليك من باس اما اذا كانت بيضاء فان ورقها يكون قد انقلب دلالة على المطر فضع حينئذٍ قضيبك من يدك وتناول مظلتك .

كلمة هولاندية — في اللغة الهولاندية هذه الكلمة

Alblasserdammerlantarenopstekersvrgaderinglokaal

ومعناها قاعة الاجتماع لموقدي مصابيح ألبلاسردام . فلو اراد اللغويون ان ينحتوا لها كلمة عربية على الطريقة التي كان يشير بها صاحب جريدة الجوائب رحمه الله لكانوا يقولون فيما نظن

قاناجتماموقدبصابيسردام . . .

هورا تركية — اعتاد بحارة اوروبا في اوقات سرورهم او عند استقبال ملوكهم ان يهتفوا « هورا » ثلاث مرات . وفي رأي جريدة برلينر زيتونغ ان هذه الكلمة ماخوذة عن التركية وانها فعل امر من المصدر التركي « اورانك » ومعناه القتل . وبيان ذلك ان الجنود التركية لما كان السلاطين يستعرضونها في القديم كانت تصرخ امامهم « اورانك » مشيرة بذلك الى المقتلة التي ستجريها في الاعداء بسطوة قائدها السلطان . وما زالت هذه العادة عند الاتراك حتى اخذها عنهم الروس فصارت عادتهم في الحرب ثم انتقلت منهم الى الالمان في سنة ١٨١٣ . والغريب ان الملوك ورجال السياسة قد يهتفون « هورا » عند شرب النخب على المائدة وهم يريدون بذلك ان «يحيى» الذين يهتفون له غير عالمين بانهم يدعون عليه ان « يُقتل »

بقر فلاسفة — في بعض ولايات روسيا يخاف الفلاحون اشد الخوف على عيون بقرهم من انعكاس نور الشمس اليها عن الثلوج الدائمة في تلك البلاد فيضعون على عيون البقر نظارات كبيرة من الزجاج الازرق يمنعون بها ان يصيبها داء

التهاب اغشية العين الذي تكثر الاصابة به في تلك الاطراف. فاذا مررت يوماً على قطيع البقر السارح حسبته فلاسفة كلت عيونهم من الدرس الطويل فوضعوا النظارات واذا شهدت هذه البقر تمد اعناقها الى الارض وترعى العشب حسبتها شامبوليون بنظارته الزرقاء يمعن النظر في الكتابات الهيروغليفية

عرابة مائة ولد — في قرية لانتون من اعمال انكلترا امرأة غنية تدعى مدام فلتشر تزوجت في الثامنة عشرة من عمرها ولما لم ترزق ولداً ارادت ان تكون عرابة جميع اولاد القرية فكلما ولد فيها ولد كانت تبتاع له اللفائف وتمنح امه عشرة جنيهات ثم تكون له عرابة في العماد. وقد بلغت في هذا العام السبعين وعمدت في الشهر الماضي الولد المائة فكان هذا العماد عيداً في القرية كلها.

لعبة في القرن الثامن عشر — وضع النساء الفرنسويات في القرن الثامن عشر العوبة يتسلين بها في السهرات والجمعيات وهي ان يقلن لاحد الرجال — افترض انك في زورق مع السيدة فلانه والسيدة فلانه وغرق بكم هذا الزورق فايهما تختار على الاخرى وتخلصها من الغرق. واتفق يوماً ان فتاة ركبت زورقاً مع امها ومعلمتها وكانت شديدة الحب لها فقيل للفتاة لو غرق بك الزورق الآن فمن تخلصين امك ام معلمتك؟ فاجابت الفتاة بلا تردد — اخلص امي واغرق مع معلمتي.

وركبت يوماً مدام دي ستايل الكاتبة الشهيرة احد هذه الزوارق مع مدام ريكاميه البارعة الجمال وكان معها رجل من اكابر الشرفاء جالساً في الزورق بينهما فقال متلطفاً — انا الآن جالس بين العقل والجمال. فاجابت مدام دي ستايل التي ما كانت تسكت عن شيء: — ولكن ليس لك واحد منهما.

المستر كراتز والنساء — قال المستر كراتز احد منشئي الجرائد في ولاية كونتاكي ان المرأة ضعيفة البنية بالنسبة الى بنية الرجل وهي لا تقدر ان تدافع عن نفسها اذا اراد احد الايقاع بها ولذلك كان من الواجب على كل امرأة ان تحمل شيئاً من السلاح اذا هي ارادت الخروج من بيتها ليلاً او شاءت ان تسافر وحدها الى مكان تريد السفر اليه. وقد نصح للنساء ان ينشئن جمعية تقوم بامر تعليمهنَّ حمل المسدسات واطلاق قذائفها بطريقة ان يكن قادرات على اصابة من يقصدن قتله وهو يظن انه اذا جرت النساء بموجب رأيه كان لا يمر عليهنَّ زمن طويل حتى يصرن قادرات على الدفاع عن الوطن مثل الرجال فينخرط عدد كبير منهنَّ في سلك الجندية وربما شيئاً فشيئاً يكون لهنَّ ان يقدن الرجال الى ساحة القتال وميدان الحرب والنزال «كوكب اميركا»

البطريرك الانطاكي — اتانا والجامعة تحت الطبع ملحقان برصيفتينا جريدة المحبة وجريدة المنار في بيروت يبشران العالم الارثوذكسي بانتخاب سيادة الحبر المفضال ملاتيوس دوماني مطران اللاذقية بطريركاً للكرسي الانطاكي فنهنئ البطريركية الانطاكية بغبطة بطريركها الجديد ونرجو ان تنال تحت رعايته كل نجاح وفلاح باذن الله.

الجراد — اعاد الجراد الكرَّة على بيروت منذ يوم الاربعاء الماضي وقد باتت جيوشه امس على الاشجار فحولت اخضرارها الى الاصفرار كما حولت وجه الارض كذلك وشوهد بعضها امس تغرز في الارض لالقاء بزورها وبيوضها وذلك بانها تبسط جناحيها بالارض معتمدة عليها ثم يخرج من مؤخرها مادة بيضاء قدر البندقة يعقبه جراب فيه البيوض وهو كالخنصر شكلاً وطولاً وعرضاً وقد عدت بزور احداها فبلغت تسعاً وتسعين ثم تموت وتبقى البزور في الارض ايام الحر نحو عشرين يوماً وفي الشتاء ضعفي ذلك الى ان تدب فيها الروح وتصبح قادرة على الطيران. اما البزور فهي على شكل حب الصنوبر صفراوية اللون الا انها ادق منها وتخرج ملتفة ببعضها محتبكة على شكل هندسي بديع

هذا والهمة مبذولة لجمعه واتلافه وقد ضربت الحكومة عشراقات على كل نفس يسلمها للدائرة البلدية او للمختارين ويأخذ بها وصلاً والا فيلزمه اداء خمسين قرشاً جزاءً نقدياً. «ثمرات الفنون»

كتاب النجوى — اتانا من حضرة قدس الاب الفاضل الخور فسقفوس جرجس شلحت السرياني الحلبي كراس صغير اودعه كتاباً باللغة الفرنسوية رفعه الى سيادة الاسقف كبرين من اساقفة كرسي رومية والكاتب الرسولي الاول ليبلغ سيادته عزمه على الاشتغال بكتابة كتاب في الصناعة والعلم والدين «عنوانه النجوى» ويطلب المساعدة المادية والادبية التي تمكنه من القيام بهذا العمل. فنرجو لحضرة الاب الفاضل تحقيق امانيه من خدمة العلم والادب هذه الخدمة الجليلة.

اخبار خارجية

انكلترا — يشتد الاعتراض على الميزانية يوماً بعد يوم

صرح وزير المستعمرات ان السبب في زيادة الشكنات العسكرية في جنوب الترنسفال تأهب هذه الجمهورية واعلان في عزمه قبول العريضة التي قدمتها النزالة الانكليزية في الترنسفال وقد طلبت الجرائد الانكليزية وجوب العمل في الترنسفال والا كانت عثرة في مستقبل افريقيا الجنوبية

فرنسا — منحت جمعية العلوم الادبية والسياسية الجائزة التي قدرها ١٥ الف فرنك المعينة لمكافأة اشد اخلاص واستبسال للقومندان مرشان مكافأة له على اجتيازه افريقيا من الغرب الى الشرق

احتفل في تونس باقامة تمثال لجول فري الذي دفع فرنسا في حلبة الاستعمار وقد شهد الاحتفال المسيو كرانزوزير الاشغال العمومية وكثيرون من النواب الفرنسويين

ثبت ان في استطاعة المسيو ماركوني صاحب اختراع التلغراف بلا سلك ان يراسل ابة سفينة في البحر واي مكان في البر من غير ان تؤخذ رسالته من مكان آخر .

روسيا — يقال ان روسيا استولت على ميناء في خليج العجم والغالب انه ميناء بندر عباس . وقد قالت الحكومة الانكليزية انه لم يصلها نبأ عن هذه الاشاعة

وُقع في بطرسبرج على عهدة الاتفاق بين روسيا وانكلترا بشأن الصين فكان لذلك دوي في الاندية السياسية الاوروبية لانه يبعد العدوان بين الدولتين وهو ما كان يخشى منه على السلم في خلال الحوادث الصينية الماضية . اما تفاصيل الاتفاق فلم تعرف تماماً بعد .

الولايات المتحدة — اتهم الشعب زنجياً بقتل صاحب مزرعة والاعتداء على امرأة فهجموا عليه واحرقوه حياً

استولى الاميركيون على كالومبيت معسكر الجيش الفيلبيني بعد معركة شديدة كانت فيها خسائر الاميركيين قليلة وخسائر الفيلبينيين عظيمة . وقد ارسل هؤلاء ضباطاً لطلب الهدنة وايقاف الحرب فقال لهم الجنرال الاميركي انه يجب عليهم التسليم اولا وبعد ذلك يعطيهم الهدنة ويوقف الحرب فبقيت الامور على حالها

المانيا — القى الكابتن كوجلان قائد الطراد راليه خطباً في مدينة نيو يورك ذكر فيها نص الرسائل البرقية التهديدية التي ارسلها الاميرال ديواي الى الاميرال الالماني حين وقعة مانيلا . ثم فاه بقصيدة هجو وقذف على امبراطور المانيا فتأثر اهل الولايات المتحدة من ذلك لانهم استنتجوا منه ان الحكومة الاميركية تخفي عنهم حقائق الامور . واحتج سفير المانيا احتجاجاً شديداً على سلوك الكابتن فاجمل وزير الخارجية ملاطفته والاعتذار له ثم وبخت نظارة الحربية الكابتن وكتب هو يعتذر الى نظارة الحربية فانتهت بذلك الحادثة .

النمسا — صرح رئيس وزارة هنغاريا في مجلس النواب ان النمسا لا تنوي الآن الاستيلاء على ارض في بلاد الصين

ايطاليا — وصل اسطول المانش الانكليزي الى ماساري للتسليم على ملك ايطاليا والملكة قرينته عند زيارتهما لسردينيا وذلك مقابل تسليم الاسطول الفرنسوي عليهما في كالياري . وقد تبودل شرب النخب بين الملك واميرال هذا الاسطول بعبارات شديدة الوداد واستعرض الملك الاسطول الانكليزي

قال الاميرال كانيفارو في مجلس الشيوخ الايطالي ان فرنسا وانكلترا قد تعهدتا باحترام طرابلس الغرب

بلجيكا — اعتصب ١٠٠ الف عامل من عملة بلجيكا واضربوا عن العمل فحشد الجند مخافة ان يعمدوا الى العصيان

سيام — وصل المسيو دومر حاكم الهند الصينية الى بنكوك فاستقبله ملك سيام استقبالاً حافلاً وتقول جريدة الفيغارو انه قد جرى بينهما البحث في امر معاهدة على استخدام الفرنسويين في الاشغال العمومية وتعليم اللغة الفرنسوية في المدارس .

اليونان — حدثت زلازل في شبه جزيرة المورة فخربت بيوتاً ولكن لم يقتل احد .

كريت — صادق المجلس المنعقد في رومة برئاسة الاميرال كانيفارو وزير خارجية ايطاليا وعضوية سفراء روسيا وفرنسا وانكلترا على الدستور الكريتي الذي عرض عليه غير انه حذف منه ما جاء فيه من ان للجمعية الكريتية حق انتخاب خلف للبرنس جورج ولما رُد هذا الدستور الى الجمعية العمومية الكريتية صادقت عليه ولم تعترض على هذا الحذف

غذاء المعد القوية

اربع من خصال الجهل · من غضب على من لا يرضيه وجلس الى من لا يدنيه وتفاقر الى من لا يغنيه وتكلم بما لا يعنيه (الامام علي)

اذا رأيت عيباً من اخيك فان كتمته عنه فقد خنته وان قلته لغيرك فقد اغتبته وان واجهته به فقد اوحشته (حاتم الزاهد)

اشد الناس بلاء واكثرهم عناء من له لسان مطلق وقلب مطبق فهو لا يستطيع ان يسكت ولا يحسن ان يتكلم (حكيم)

انما يجتنب الحكيم العاقل الناس واجتماعاتهم لئلا يلقى فيها ما يكدر صفوه (لابرويير)

ارى مدينة من رابية قريبة منها · الاشجار تكتنفها فتمنع عنها الرياح الباردة · حول اسوارها ينساب نهر ثم يصب في مروج عامرة · سماؤها صافية وابراجها شاهقة وقصورها نظيفة منظمة · فيشوقني منظرها وترتاح نفسي الى السكنى فيها · فاقصدها وادخلها · غير اني لا ابيت فيها ليلتين حتى اخرج منها مهرولاً لاني لا اريد ان اكون كأهلها (لابرويير)

يضر الانسان ان تريه ما في نفسه من العظمة من غير ان تريه ما فيها من الدناءة كما يضره ان تريه ما فيها من الدناءة من غير ان تريه ما فيها من العظمة (باسكال)

للتكلم انواع · فمنها حسن اختيار الكلام وطلاقة اللسان في الكلام · والصدق في الكلام · وحسن الذوق في الكلام · ومن هذا النوع الاخير ان لا تتكلم عن قوة بنيتك امام المرضى · ان لا تصف مائدتك امام الذين لا يأكلون خبزاً · ان لا تتكلم عن اثاثك وارباحك واملاكك مع من لا اثاث ولا ارباح ولا ملاك له · وبعبارة واحدة ان لا تذكر سعادتك امام التعساء (لابرويير)

لا يوجد نساء غيرنا نحن الاسبرطيات يحكمن رجالهن لانه لا يوجد نساء غيرنا يربين رجالاً (امرأة ليونيداس)

كم من الاباء يحسبون انهم متى دفعوا اجرة التعليم للمعلم قاموا بواجب تربية بناتهم (مدام برنيه)

غرض التربية انماء كل ما في الانسان من القوى (قنت)

اذا دخلت الفتاة الى العالم فلا ترى فيه غير ما يزيد غرورها وهكذا تمنعها جلبة التمدن القائمة حولها من سماع صوت باقي الامور الطبيعية (فولتير)

اذا رحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فهم الراحلون (ابو الطيب المتنبي)

غذاء المعد الضعيفة

بين والد وولده : اصحيح يا ابتاه ان محبة المال هي اصل كل بلايا البشر — نعم يا بني ولذلك يجب ان لا نترك لهم منه شيئاً اذا قدرنا

ثقيل السمع : زار رجل ثقيل السمع سيدة فشكت اليه اولاً انحراف صحتها وصحة ابنتها · فتأوه الزائر واسف لذلك ثم قالت له و يسرني ان ابلغك انه قد تقرر عقد زواجها في الشهر القادم · فاجاب الثقيل السمع — ارجو زوال هذا العارض

بين صديقين : أؤكد لك ان فلاناً لئيم ولا يعاشره الا اللئام — انت تبالغ وهل تعرفه — كيف لا وهو من اعز اصدقائي

طبيب ومريض : انا مديون لك بحياتي ايها الدكتور وحاشا ان انسى فضلك — لا تبالغ يا عزيزي فلست مديوناً لي الا بخمسة جنيهات اجرة زياراتي فهذه ارجو ان لا تنساها

قاضي وامرأة : ثبت لدى المحكمة ايتها الامرأة انك شاركت رجلك في كثير من سرقاته — نعم اما أُمرت المرأة ان تخضع للرجل وتفعل فعله

رجل ومصور : لماذا انت عابس تبسم يا سيدي لتكون صورتك بشوشة — لا لا يا سيدي فاني سأرسل هذه الصورة الى امرأتي التي ارسلتها تقضي بضعة ايام بعيداً عني فاذا رأت على وجهي السرور عادت اليَّ بالحال

ام وولدها : لا اسكت عن البكاء حتى تعطيني فرنكاً اشتري به قرداً — ولكن لدينا قرد — واين هو — انسيت انك قرد ونصف يا الفريد — حسن فاعطيني اذاً نصف فرنك لاشتري بندقاً لهذا القرد

اجمل شاب : ارادت سيدة نبيهة ان تري بعض الشبان شدة غرورهم فقالت في جمعية حافلة بالرجال والسيدات — اني ارى لطخة سوداء على قميص اجمل شاب في هذا المجلس · فلم يبق شاب حتى نظر في قميصه

توأم : ما اسمك يا فتى — لا اعلم — وكيف لا تعرف اسمك — كنا توأمين انا واخي الذي مات وكنا نسمى حنا ويوسف فاذا كان الذي مات يدعى حنا فاسمي يوسف واذا كان يدعى يوسف فاسمي حنا

فتهلل صاحب الصحيفة لما وقع نظره على الفئة الثانية ورأى في وسطها بطرس يسلم على من حوله فدنا منها من غير ان يعرج على الاولى فاخذ يد بطرس وسلم عليه ثم القى في اذنه هذه الكلمات ـ انا فريد رسول الخواجه حنا . فاشرق وجه بطرس وسلم عليه مرة ثانية فالقى الرجل مرة ثانية في اذنه ـ ودّع من حولك وهيا بنا الى القهوة

فاطاع بطرس بالحال وفيما كان يمد يده ليودع من حوله كان اميل قد جلس في مركبة مع رجل كهل وفتاة حسناء وجرت بهم المركبة الى داخل المدينة

هذا ولا نصف السرور الذي شمل المسافرين والمستقبلين حين التقائهم في ارض الغربة فاننا لم نشهد لقاءهم لنصفه اذ كنا في حانة حنا بطرس الى حيث نحن عائدون الآن

الفصل الرابع

في الحانة

عاد صاحب الصحيفة ببطرس الى القهوة فاخذ كل منهما كرسيًّا وجلسا الى مائدة كانت في احدى زوايا المكان . وكانت الحانة قد غصت من جديد بالزائرين وتعالت فيها ضوضاؤهم مما كان يجعل الاثنين في مأمن من ان يسمعهما منصت الى حديثهما اذ هذه الضوضاء قد تكون افضل في كتم الحديث من خلو المكان .

وليسمح لنا القارئ الآن ان نعرفه بالرجل صاحب الصحيفة . والذي نريد ان نعرفه به من هذا الرجل سحنته لا اخلاقه اذ يكفي ان نصف له سحنته ليعرف منها اخلاقه

فقد كان فريد رجلاً في الخامسة والثلاثين او الاربعين من العمر قصير القامة دقيق العضل نشيطًا في حركته بالرغم عن سنه . وكان ضيق الجبهة تحتها عينان صغيرتان غائرتان تلمعان كأن كلاًّ منهما خرزة صغيرة ركبت في ثقب صغير . اما وجهه فقد كان نحيلاً كجسمه ولكنه كان مصبوغًا بصفرة شديدة لا يعرف اذا كانت صفرة مرض او صفرة طبيعية . وكان ذا انف منتفخ حوله وجنتان غائرتان تهتزان فوق اضراسه بحركة ألفها الرجل فكان يأتيها كل ما كان يفكر في امر ذي بال . وتحته فم واسع دقيق الشفتين وراءهما اسنان تحكي صفرتها صفرة الوجنتين

هذه صفة فريد بالاجمال . اما بطرس فقد اسمعنا القارئ الى الآن صوته ولم نره بعد سحنته لذلك نصفه له بكلمتين

لقد كان بطرس على عكس فريد في سنه وتركيب خلقته . فانه كان شابًّا في الخامسة والعشرين ممتلئ الجسم طويل القوام واسع الجبين مفعم الوجه محمر الوجنتين نظيف الاسنان متناسب الاعضاء

وكان بين الاثنين بون آخر وضعي غير البون الطبيعي . فقد كانت ملابس فريد غير مرتبة ولا نظيفة والذي يتأمله من قريب يرى فيها اهمالاً ظاهرًا اما بطرس فقد كانت ملابسه غاية في الترتيب والنظافة لانه كان من طائفة الشبان الذين لا يدعون انظار الحسان تقع منهم الا على نظيف ومرتب وجميل . وغني عن البيان اننا نقصد هنا نظافة الخارج وترتيبه وجماله اما الباطن فلا ننظر فيه الآن

هذا وصف الاثنين بالاجمال على ان في الحوادث الآتية احسن وصف لهما اذ مهما اسهبنا في هذا الوصف لا نبلغ فيه مبلغ حوادث يوم في الدلالة على اخلاق الرجلين لذلك نترك الحوادث المقبلة ان تكمل هذا الوصف الناقص

ولما جلس فريد وبطرس الى المائدة افتتح فريد الحديث بغتة فقال

— هل نظرت ما كان اجملها اليوم

فبهت بطرس وقال متلجلجًا

ـ من تعني بكلامك

فضحك فريد وقال : اعني من تعلم اني اعنيها . اتظن انني غفلت عن نظراتك اليها

فضحك بطرس وقد صبغت وجهه حمرة الضحك لا حمرة الحياء واجاب : اذًا انت من بداية الامر رقيب

— كلاّ لست رقيبًا ولكني مساعد . لا تتلجلج ياخواجا بطرس ولا تكتم عني شيئًا فاني واقف على كل شيء حتى على وصول رسمها اليك . وقد قلت لك اني رسول زوج خالتك الخواجا حنا واظنه قد ابلغك قبل سفرك من لبنان ان تعتمد عليَّ حين وصولك الى هذه البلاد فانا ياسيدي خادمك وصديقك ابذل في سبيل خدمتك كل ما في استطاعتي ولو كان في جسمي هذا الاصفر النحيل من الدم ما يستحق الذكر لقلت لك اني ابذله في سبيلك

— شكراً لك على غيرتك وصدق ودادك واذا كنت قد تلجلجت كما رأيت فما ذلك عن عدم ثقة فيك ايها الصديق ولكن عن رغبتي في ان لا اظهر امرًا اكون فيه خاسرًا فان عزة نفسي تأبى ذلك وما كنت لابغي أمرًا واعود عنه خائباً

— لا تخف فلن تعود خائباً باذن الله فان خالتك الست وردة قد ابلغتني من فمها ان هذه الابنة لا تكون الا لك وقد حملت زوجها الخواجه حنا شقيق الخواجه بولس ان يستعمل كل نفوذه لاقناع اخيه في اختيارك دون سائر الشبان الذين يتزاحمون للوصول اليها . واظنك لا تجهل ما لحنا من النفوذ لدي اخيه وقد استدعاني امس اليه وخلا بي مع زوجته وقال لي ما يأتي — بطرس قادم غدًا طبقاً لكتاب ورد منه وقد كنت احب النزول الى البحر لاستقباله او ان ارسل على الاقل خالته تستقبله الا انني لا اطيق ان ارى «المعلم البارد» القادم في جملة القادمين معه واذا نزلت خالته فانها ستكون مع اخي وابنته في مكان واحد فيضطر بطرس الى مقابلة ماري وانا غائب وهذا لا أريده لاني اريد ان يلتقيا في حضوري . فاذهب انت ونب عنا في استقباله وجئنا به

— عرفت الآن امرًا كنت اجهله فاني عجبت جدًا من اني لم اجد في جملة المستقبلين خالتي او زوجها

— نعم هذا هو السبب في ذلك . وقد عهد الى زوج خالتك ايضاً ابلاغك ان تجتنب مقابلة الخواجا بولس حين وصولك وان تظهر عدم اكتراثك بهِ فابطأت في النزول لاستقبالك لذلك لا اعلم ما تم بينك وبينه

— وهل كان عالماً اني قادم الى هنا

— كلاَّ فان اخاه لم يطلعه على ذلك انما خالتك قالت لماري في حديث بينهما انها اي ماري سترى في هذا الشهر شاباً لبنانياً من افضل اللبنانيين فتوردت وجنة ماري ظنًا منها انها تتكلم عن صاحبك المعلم اميل . ثم قالت خالتك وهي تنظر اليها من طرف خفي . والمظنون ان هذا الشاب قادم لامر خطبة وزواج فقد قدم اليهِ عشرون بنتاً من بنات لبنان وسوريا فلم يرَ واحدة تستحق قلبه فقصد السفر الى هذهِ البلاد ليأخذ منها عروساً له . وكانت خالتك تتكلم وماري يشتد احمرار وجهها حتى كاد يتبوغ الدم من وجنتيها . فظنت خالتك ان ماري قد فهمت معنى كلامها عنك فكان ذلك سبب خجلها ولم نعلم السبب الحقيقي الا منذ اتانا كتابك الذي تقول فيه ان المعلم اميل قادم معكم فتحققنا حينئذ انها كانت عالمة بقدومه . والآن رغبة في الاختصار احصر موضوعنا في نقطة واحدة وهي: يقدرون ثروة الخواجه بولس بخمسين الف ليره (جنيه) ولا وارث له غير ابنته ماري لان اخاه غني وهو اي الخواجه بولس يريد ان يكون كل ماله لصهره ولابنته ومن العدل والحق والحقوق العائلية ان لا ينال هذه الثروة الطائلة الا احد افراد العائلة وانت كواحد منها لانك من اقرباء الخواجه حنا فمن الواجب ان تكون مقدماً على كل من سواك . اما العقبات التي في طريقنا فسنجتازها باذن الله وهي اثنتان — رضى الأب وحب الابنة

— واي حب تعني

— لا يثقل عليك كلامي فانك لا تجهل ان قلوب البشر ضعيفة وبالخصوص قلوب هؤلاء النساء التي قد تملكها صغائر الامور دون كبائرها . واين مثل شبابك الغض وادبك الباهر وغناك ووجاهة عائلتك ولطف معشرك من حالة هذا المعلم المتكبر الثقيل الخامل البارد الذي لا يعرف من الدنيا غير القلم والكتاب . ومع ذلك فانها تحبه ولا يثقل ذلك عليك فانه حب ما خلق الا ليقتل في صدر صاحبه . ومتى قتلنا هذا الحب وغرسنا مكانه حب شاب كريم النفس مثلك لم يبق علينا الا رضى الأب ولكن ما هذا صعب علينا فان الخواجه حنا كفيل باقناع شقيقه والصعب الآن اقناع ماري واجتذاب قلبها

والذي جعل الخواجه حنا شديد الرغبة في ابعاد اميل عن ابنة اخيه ما عدا رغبته في ان يراك زوجاً لها هو ما سمعه احياناً من الخواجه بولس من انه سيعمل يوماً عملاً لم يعمله شرقي قط . واذ سأله ما هذا العمل اجابه بان ماري تذكره له فسألها عنه فذكرت له تفاصيل عمل يضحك الثكلى ولم اعِ منه غير انشاء معمل وفتح مدرسة وتفريق اموال . ومعلوم لديك ان المعلم اميل هو الذي وضع هذه الافكار في دماغ ماري اذ كان يعلمها في صغرها وهي نقلت هذه الافكار الى ابيها . وفي العمل بهذه الاراء السخيفة تبديد ما يملكه الخواجه بولس من المال فاذا عقدت بين اميل وماري صلة القرابة لم يرجعهما احد عن تلك الافكار الصبيانية فتتبدد ثروة الخواجه بولس ولذلك يرغب الخواجا حنا في ابعاد هذين الطائشين الواحد عن الآخر. وقد حضرت منذ ثلاثة ايام مجلساً دار فيه الحديث على تلك الاحلام التي مرَّ ذكرها فادهشني جنون البشر وجهلهم ولكن خل عنا هذا الان واسمع مني هذه الكلمات فقد اطلنا انتظار

خالتك

١ انك لم تأت هذه الديار لتبحث عن شغل لك لانك غني بحمد الله عن كل امر وانما جئت تروح النفس وتشاهد عجائب اميركا وتأخذ لك من بناتها اذا امكن فتاة تقاسمك السراء والضراء

٢ انك لا تتزلف الى الخواجه بولس بامر من الامور واذا رأيته فاظهر انك لا تراه واذا وقعت عينك على عين ماري فعدم الاكتراث التام

٣ تظهر انك تساعد الفقراء كثيرًا وتزور المستشفيات كثيرًا بقدر ما يمكنك فان هذه الغريبة الاخلاق ماريه شديدة الحب والاحترام لهذين الامرين وهي تنفق في سبيلها ما لا يحصى من الاموال

٤ تحت بيت الخواجه بولس مخزن اميركي للبضائع كبير في جملة الفتيات المستخدمات فيه فتاة تلبس ثوبًا اصفر دائمًا الا يوم الاحد فانها تلبس ثوبًا ابيض وساذهب بك غدًا الى هذا المخزن بحجة اننا نريد ان نشتري شيئًا فاظهر كل لطف واحترام لهذه الفتاة وكن امامها غير خفيف الرأس فانها شديدة النقد للرجال وهي رفيقة ماري وصديقتها الحميمة من بين بنات نيويورك كلها الوطنيات والاميركيات وسأقول لك ما يجب صنعه بعد ذلك

خامسًا واخيرًا — تجاه هذا المخزن الى جانب بيت الخواجه بولس فندق اميركي كبير يكون نزولك فيه الى اجل مسمى فان هذه ارادة خالتك

هذا ما يجب عليك ملاحظته وكان عليَّ ابلاغك اياه وما على الرسول الا البلاغ فقم لنأخذ الآن امتعتك الى هذا الفندق ونذهب بعد ذلك الى منزل خالتك

الفصل الخامس

ما كل السبل سهلة

بات اميل وبطرس تلك الليلة في مدينة نيو يورك العظمى فناما بشيء من الراحة والاطمئنان بعد ما قاسياهُ من اهوال الاوقيانوس وامواجه الهائلة . ولكن ما جرى لباقي رفاقهما من اللبنانيين والسور بين القادمين معهما ؟

طريق الحياة ليست كلها مفروشة زهورًا والاماني خداعة ان لم تكن قتالة والحظوظ كتب في تقسيمها ان لا تكون على السواء بين بني حواء

فان رفاقهما لم تكن الطريق في وجوهم سهلة كما كانت في وجه اميل وبطرس . ولما كان اميل يركب المركبة بجانب الكهل والحسناء وبطرس يهز ايدي الذين حوله حتى يلحق بالرجل الذي جاء يأخذه كان معظم المسافرين يتأملون مبهوتين في ذلك التيار العظيم تيار الحياة وزحامها الشديد الذي القوا بانفسهم اليه فكانوا اشبه بجنود أُرسلوا الى ساحة الحرب فلما وصلوا اليها ابصروا انهم بلا سلاح او بسلاح ضعيف واهن يتحطم في ايديهم عند الصدمة الاولى . وودَّ كثيرون منهم لو عادوا الى بلادهم وندم كثيرون على سفرهم منها اذ رأوا قواهم غير كافية للقيام بذلك الصراع الشديد الذي قدموا له من اقصى المشرق وعبروا الاوقيانوس من اجله . لذلك كانوا مبهوتين ساكتين يخاطبهم مستقبلوهم فلا يجيبونهم الا باجوبة مقتضبة لان عقولهم ليست معهم بل وراءهم حيث خلفوا اهلهم واولادهم اما امامهم فما كانوا يرون غير ذل الغربة والتعب الشديد وتوقف الرزق على تصاريف الزمان فضلاً عن خوف العودة بخفي حنين صفر الايدي والوطاب

فما كان اغنى هذه الفئة الضعيفة عن التشبه بالفئة القوية والسفر الى تلك الاقطار الشديدة الزحام فان ضعفها يزيدها ضعفًا . ولو كان سفرها الى مستعمرات لدولتها تتدرب فيها على استثمار الارض كما يصنع المهاجرون الفرنسويون والانكليز في مستعمراتهم لكان عملها جديرًا بالثناء اما سفرها الى ارض اجنبية من غير ان تملك ايديها ما يكون مدارًا لعمل تعمله ونفوسها ما يبعث فيها القوة على احتمال الحياة وزحامها وبعبارة اوضح من غير ان تربى التربية الاستعمارية التي يربى بها في الامم الاستعمارية الذين يراد ارسالهم الى المستعمرات — من غير ذلك لا نفع لتلك الفئة الضعيفة من اتعابها في ارض الغربة بل قد يكون لها فيها من المتاعب والاضرار والشرور ما لا يخطر ببال

وانظر الفرق بين الفئة الضعيفة والفئة القوية في هذا الحادث الصغير . فانه بينما كان اكثر رفاق اميل وبطرس متفرقين في الفنادق الصغيرة او في بيوت بعض اصدقائهم سهارى اكثر الليل من الوحشة وخوف المستقبل كان اميل وبطرس راقدين رقادًا لطيفًا هذا في الفندق الذي اخذهُ اليهِ فريد وذلك في غرفة جميلة في منزل الخواجا بولس . أُولئك ملء قلوبهم الوحشة وهذان ملء صدريهما الامل والرجاء
